

منبر المحراب

السيدة زينب عليها السلام والإمامة

السنة الخامسة عشرة

العدد ٨٣١ / جمادى الأول / ١٤٣٠ هـ

الموافق ٢٨ / نيسان / ٢٠٠٩ م

محاور الموضوع الرئيسية:

- ١- قيس من سيرة العقيلة زينب
- ٢- مسيرة السبايا والقيادة الزينبية للثورة
- ٣- مواقف العقيلة زينب تحفظ خط الإمامة

الهدف: التعرف إلى سيرة السيدة زينب وإلى نماذج من جهادها ومواجهتها للظالمين.

تصدير الموضوع: لما ولدت السيدة زينب عليها السلام جاءت بها أمها الزهراء إلى أبيها أمير المؤمنين عليه السلام وقالت له: سم هذه المولودة، فقال عليه السلام ما كنت لأسبق رسول الله صلى الله عليه وآله وكان في سفر له، ولما جاء النبي صلى الله عليه وآله وسأله عن اسمها قال: ما كنت لأسبق ربي تعالى، فهبط جبرائيل يقرأ على النبي صلى الله عليه وآله السلام من الله الجليل وقال له: سم هذه المولودة (زينب) فقد اختار الله لها هذا الاسم، ثم أخبره بما يجري عليها من المصائب، فبكى النبي صلى الله عليه وآله وقال: من بكى على مصاب هذه البنت كان كمن بكى على أخويها الحسن والحسين عليهما السلام. (زينب الكبرى، للشيخ النقدي، ص ٩١، مع وجود اختلاف بين الروايات)

١- العقيلة زينب في كلمات: ولدت السيدة

زينب عليها السلام في الخامس من جمادى الأولى، في السنة الخامسة - أو السادسة للهجرة، وقيل في غرة شعبان في السنة السادسة. وتكنى بأُم كلثوم، وأم الحسن، وتلقب: بالصديقة الصغرى، والعقيلة، وعقيلة بني هاشم، وعقيلة الطالبين، وهي أول بنت ولدت لفاطمة.

- عفتها: وحديث يحيى المازني قال: كنت في

جوار أمير المؤمنين في المدينة مدة مديدة، وبالقرب من البيت الذي تسكنه زينب ابنته، فلا والله ما رأيت لها شخصاً ولا سمعت لها صوتاً. وكانت إذا أرادت الخروج لزيارة جدّها رسول الله تخرج

ليلاً والحسن عن يمينها والحسين عن شمالها وأمير المؤمنين عليه السلام أمامها، فإذا قربت من القبر الشريف سبقها أمير المؤمنين عليه السلام فأحمد ضوء القناديل، فسأله الحسن عليه السلام مرة عن ذلك فقال عليه السلام: أخشى أن ينظر أحد إلى شخص أختك زينب. (وفيات الأئمة، ٦٣٤)

- عبادة زينب عليها السلام: كانت السيدة زينب

تقضي عامة لياليها بالتهجد وتلاوة القرآن، ففي (مثير الأحزان) للعلامة الشيخ شريف الجواهري رحمته الله قالت فاطمة بنت الحسين عليها السلام وأما عمتي زينب فإنها لم تزل قائمة في تلك الليلة أي العاشرة من المحرم في محرابها، تستغيث إلى ربها، فما هدأت لنا عين ولا سكنت لنا رنة. وفي رواية: أن الحسين عليه السلام لما ودّع أخته زينب وداعه الأخير قال لها: يا أختاه لا تسنيني في نافذة الليل. (وفيات الأئمة، ١٤٤)

وروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال:

رأيتها تلك الليلة تصلي من جلوس، وروي بعض المتقين عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: إن عمتي زينب كانت تؤدي صلواتها من الفراش والنوافل عند سير القوم بنا من الكوفة إلى الشام من قيام، وفي بعض المنازل كانت تصلي من جلوس فسألته عن سبب ذلك فقالت: أصلي من جلوس لشدة الجوع والضعف منذ ثلاث ليال، لأنها كانت تقسم ما يصيبها من الطعام على الأطفال لأن القوم كانوا يدفعون لكل واحد منا رغيفاً واحداً من الخبز في اليوم والليل. (المصدر نفسه)

٢- مسيرة السبايا والقيادة الزينبية للثورة:

تحرك موكب سبايا أهل البيت عليهم السلام من كربلاء المقدسة نحو مدينة الكوفة وهو يقطع الصحاري، حاملاً الذكريات الموحشة والمؤلمة لليلة الفراق والوحشة، التي قضوها على مقربة من مصارع الشهداء، في الحادي عشر من المحرم ٦١ هـ. وقد حمل جيش عمر بن سعد السبايا على أحلاس أقتاب الجمال بغير وطاء ولا غطاء، وساقوهم كما يساق سبي الترك

والروم في أشد المصائب، وتتقدمهم الرؤوس على الرماح، حتى دخل الركب الكوفة في اليوم الثاني عشر من المحرم ٦١ هـ.

واقسمت القبائل الرؤوس لتأتي بها إلى ابن زياد: فكانت رؤوس أهل بيت الحسين عليه السلام وأصحابه ثمانية وسبعين رأساً، فاقسمتها القبائل لتقرب بذلك إلى عبيد الله بن زياد وإلى يزيد بن معاوية.

فجاءت كتدة بثلاثة عشر رأساً، وصاحبهم قيس بن الأشعث، وجاءت هوازن بأثني عشر رأساً، وصاحبهم شمر بن ذي الجوشن، جاءت تميم بسبعة عشر رأساً، وجاءت بنو أسد بستة عشر رأساً، وجاءت مذحج بسبعة رؤوس، وجاء باقي الناس بثلاثة عشر رأساً. (الطوفان، ٤٨)

٣- مواقف السيدة زينب عليها السلام تحفظ الإمامة:

تعتبر واقعة كربلاء من أخطر الأحداث التي عصفت بالأمة الإسلامية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنها تهدف إلى التصفية الجسدية الكاملة لخلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله، وتوجيه الأمور في مسار آخر ينسجم مع تطورات ومشاريع السلطة الجديدة، وإن تطلب ذلك قتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وأهله من بني هاشم، والقضاء على كل عناصر القوة عندهم، وهذا ما يضفي قيمة إضافية على مواقف السيدة زينب عليها السلام التي كان لها دور أساسي ورئيس في هذه الثورة العظيمة، فهي الشخصية الثانية على مسرح الثورة بعد أخيها الحسين عليه السلام، كما أنها قادت مسيرة الثورة بعد استشهاد أخيها الحسين عليه السلام، وحفظت نهج الإمامة، وأكملت ذلك الدور بكل حكمة وجرادة.

أ- بعيد شهادة الحسين عليه السلام: حينما

حدثت الفاجعة الكبرى بمقتل أخيها الحسين عليه السلام بعد قتل كل رجالات بيتها وأنصارهم خرجت السيدة زينب تعدو نحو ساحة المعركة، تبحث عن جسد أخيها الحسين بين القتلى غير



إليه يصعد الكلم الطيب

دعوه لها، عجباً للرحم ودت أن تقتل معه.

هـ- في مجلس الطاغية يزيد:

وفي اليوم التالي أمر ابن زياد جنده بالتوجه بسبايا آل البيت عليهم السلام إلى الشام، إلى الطاغية يزيد بن معاوية، وأمر أن يكبل الإمام زين العابدين عليه السلام بالقيود، وأركب بنات الرسالة الإبل الهزل تنكيلاً بهن، وأظهر الطاغية فرحته الكبرى بإبادته لعنة رسول الله صلى الله عليه وآله وأخذ يهز أعطافه جذلان متمنياً حضور القتل من أهل بيته بيد ليريهيم كيف أخذ بثأرهم من ذرية النبي صلى الله عليه وآله، وراح يترنم بالآيات التي مطلعها:

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِدَرِ شَهْدُوا
جَزَّ الْخَزَجُ مِنْ وَقَعِ الْأَسَلِ

ولمّا سمعت العقيلة هذه الآيات ألقت خطبتها الشهيرة بفصاحة وشجاعة أبيها علي عليه السلام وقد ضمّنتها أعنف المواقف لفرعون عصره يزيد، ومما قالته عليها السلام: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ، صَدَقَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ» حيث يقول: «ثم كان عقابية الذين أسأوا السيئ أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون...»

أَمْسِنِ الْعَدْلُ يَا بِنْتَ الطُّغَاءِ تَخْدِيرُكَ حَرَائِكَ
وَأَمَاءَكَ وَسَوْفَكَ بَنَاتُ رَسُولِ اللَّهِ سَبَايَا؟
قَدْ هَمَّكَ سُتُورُهُنَّ، وَأَبْدَيْتِ وَجُوهَهُنَّ،
تَحْدُو بِهِنَّ الْأَعْدَاءُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ...
وَيَتَصَحَّحْنَ وَجُوهَهُنَّ الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ...
اللَّهُمَّ خُذْ بَعْضَنَا، وَانْقَمْ مِنْ ظَلَمْنَا، وَاحْلُ
غَضَبِكَ مِنْ سَفْكَ دَمَانَا وَقَتْلِ حِمَاتِنَا
فَوَاللَّهِ مَا فَرَيْتِ إِلَّا جِلْدَكَ، وَلَا حَزَزْتَ إِلَّا
لَحْمَكَ، وَلَتَرَدَّنَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِمَا
تَحَلَّتْ مِنْ سَفْكَ دَمَاءِ ذُرِّيَّتِهِ، وَانْتَهَكَتْ
مِنْ حُرْمَتِهِ فِي عَثَرَتِهِ وَلَحْمَتِهِ...
فَكَيْدُ كَيْدِكَ، وَأَنْصَعُ سَعْيِكَ، وَنَاصِبُ جَهْدِكَ،
فَوَاللَّهِ لَا تَمُحُّونَ ذِكْرَنَا، وَلَا تُمِيتُ وَحْيَنَا،
وَلَا تُدْرِكُ أَمَدَنَا، وَلَا تَرَحُّصُ غَنَكُ
عَارَهَا).

ومما قالته العقيلة في توبيخ يزيد: «... وَلَيْتَن
جَرَّتْ عَلَيَّ الدَّوَاهِي مَخَاطِبَتِكَ، إِنِّي
لَأَسْتَصْغِرُ هَذْرَكَ، وَأَسْتَغْظِمُ تَقْرِيعَكَ،
وَأَسْتَكْبِرُ تَوْبِيخَكَ، لَكِنِ الْعَيُونُ عَبْرَى،
وَالصُّدُورُ حَرَى، أَلَا فَالْعَجَبُ كُلِّ الْعَجَبِ
لَقَتْلِ حَزْبِ اللَّهِ النُّجَبَاءِ بِحَزْبِ الشَّيْطَانِ
الطُّغَاءِ...» (المصدر نفسه)

وأنهم من أحمط المجرمين، فقد اقترفوا
أفطع جريمة وقعت في الأرض، فقد قتلوا
المنقذ الذي أراد لهم الخير، وفروا بقتله
كبد رسول الله صلى الله عليه وآله وانتهكوا حرمة، وسبوا
عِيَالَهُ، فَأَيَّ جَرِيْمَةٍ أَشْبَحُ مِنْ هَذِهِ الْجَرِيْمَةِ؟

الحجة والمنطق في مواجهة ابن زياد:

ولمّا روى المجرم الخبيث ابن مرجانة أحقادَه
من رأس ریحانة رسول الله صلى الله عليه وآله التفت إلى
عائلة الإمام الحسين فرأى سيدة منجزة
في ناحية من مجلسه، وقد حفت بها المهابة
والجلال، فانبرى ابن مرجانة سائلاً عنها،
فقال: مَنْ هَذِهِ الَّتِي انْحَارَتْ نَاحِيَةً وَمَعَهَا
نَسَائُهَا؟ فَأَعْرَضَتْ عَنْهُ احْتِقَاراً وَاسْتِهَانَةً
به، وكرّر السؤال فلم تجبه فانبرت إحدى
السيدات فأجابته: هذه زينب بنت فاطمة
بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال لها: الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم،
وأبطل أجدوثكم.

فثارت حفيضة الرسول صلى الله عليه وآله وأجابته بشجاعة
أبيها محتقرة له قائلة: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
أَكْرَمَنَا بِنَبِيِّهِ، وَطَهَّرَنَا مِنَ الرَّجْسِ
تَطْهِيراً، إِنَّمَا يَنْفُضُ الْفَاسِقَ وَيَكْذِبُ
الْفَاجِرَ، وَهُوَ غَيْرُنَا يَا بِنَ مَرْجَانَةَ)

وكذلك عندما خاطبها مستهزئاً: كيف رأيت
صنع الله بأخيك؟

فأجابته حفيضة الرسول بكلمات الظفر والنصر
لها ولأخيه قائلة: (مَا رَأَيْتِ إِلَّا جَيْلِيًّا،
هَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ، فَبَرَزُوا
إِلَى مَضَاجِعِهِمْ، وَسَجَّعَ اللَّهُ بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُمْ، فَتَحَاجَّ وَتَخَاسَمُ، فَاَنْظُرِي لِمَنْ
الْفَلَجُ يَوْمَئِذٍ، تَكَلَّتْ أُمُّكَ يَا بِنَ مَرْجَانَةَ...).

(بحار الأنوار، ج ٥٤، ص ٩٠١)

د- إنقاذ العقيلة للإمام زين العابدين: وأدار
ابن مرجانة بصره في بقية الأسرى من
أهل البيت فوقع بصره على الإمام زين
العابدين، وقد أنهكته العلة فسأله:

مَنْ أَنْتَ؟ فقال عليه السلام: علي بن الحسين...
بعد حوار مع الإمام - فالتفت إلى بعض
جلاديه فقال له: خذ هذا الغلام واضرب
عنقه. فانبرت العقيلة بشجاعة لا يرهيبها
سلطان، فاحتضنت ابن أخيها، وقالت
لابن مرجانة:

«حَسْبُكَ يَا بِنَ زِيَادٍ مَا سَفَكَتَ مِنْ دَمَانَا، إِنَّكَ
لَمْ تَبْقِ مِنَّا أَحَدًا، فَإِنْ كُنْتَ عَزَمْتَ عَلَى
قَتْلِهِ فَاقْتُلْنِي مَعَهُ...» (المصدر نفسه)
وبهر الطاغية وانخذل، وقال متعجباً:

عابئة بالأعداء المدججين بالسلاح، فلما
وقفت على جثمان أخيها الحسين عليه السلام،
كان الجميع يتصور أنها سوف تموت أو
تنهار وتبكي وتصرخ أو يغمر عليها، لكن
ما حدث هز أعماق الناظرين، فوضعت
يدها تحت جسده الطاهر المقطع ورفعته
نحو السماء وهي تدعو بمرارة قائلة
«اللهم تقبل منا هذا القربان»، (العقيلة
والفواطم، ١٦، الشاكري)

ب- مواقفها في الكوفة: لما دخل موكب
السبايا الكوفة، خرج الناس إلى الشوارع،
بين متسائل لا يدري لمن السبايا، وبين
عارف يكفكف دمعاً ويضمّر ندماً.

ثم اتجه موكب السبايا نحو قصر الإمارة،
مُخْتَرِقاً جموع أهل الكوفة، وهم يبكون
لما حل بالبيت النبوي الكريم، قال بشير
بن خزيمة الاسدي: ونظرت إلى زينب
بنت علي يومئذ، ولم أر خفرة والله أنطق
منها، كأنها تفرع من لسان أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد أومات
إلى الناس أن اسكتوا، فانارت الأنفاس،
وسكنت الأجراس، ثم قالت: «الْحَمْدُ لِلَّهِ،
وَالصَّلَاةُ عَلَى جَدِّي مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ
الْأَخْيَارِ».

أَمَّا بَعْدُ: يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، يَا أَهْلَ الْخَلِّ، وَانْقَدِرْ،
أَتَبْكُونَ؟ فَلَا زَقَاتَ الدَّمْعَةِ، وَلَا هَدَاتِ
الرُّثَّةِ، إِنَّمَا مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ الَّتِي نَفَضَتْ غَزْلَهَا
مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ انْكَاشِ، تَنْخَدُونَ إِيْمَانَكُمْ
دَخَلًا بَيْنَكُمْ... أَتَبْكُونَ وَتَنْتَحِبُونَ؟ إِي
وَاللَّهِ فَابْكُوا كَثِيرًا، وَاضْحَكُوا قَلِيلًا،
فَلَقَدْ ذَهَبْتُمْ بَعَارَهَا وَشَارَهَا... وَيَلَكُمْ يَا
أَهْلَ الْكُوفَةِ، أَتَدْرُونَ أَيَّ كَيْدٍ لِرَسُولِ اللَّهِ
فَرَيْتُمْ؟ أَيَّ كَرِيْمَةٍ لَهُ أَبْرَزْتُمْ؟ أَيَّ دَمٍ
لَهُ سَفَكْتُمْ؟ أَيَّ حُرْمَةٍ لَهُ انْتَهَكْتُمْ؟ لَقَدْ
جَنَّمْتُمْ بِهَا صَلَافًا عَنَاءَ سُدُوءِ قَمْعَاءَ...
أَفْهَجْتُمْ أَنْ مَطَرَتِ السَّمَاءُ دَمًا، وَلَعْدَابُ
الْآخِرَةِ أُخْرَى وَأَنْتُمْ لَا تَنْصَرُونَ...» (بحار
الأنوار، ج ٥٤، ص ٩٠١)

وخلاصة ما أرادت إيصاله إليهم:

إيضاح الصورة للرأي العام وإثارتهم على
الأمويين، وإظهار المصيبة الكبرى التي
داهمت العالم الإسلامي بقتل ریحانة
رسول الله صلى الله عليه وآله، وتحميل الكوفيين
مسؤولية هذه الجريمة النكراء.

فلقد قرعتهم عقيلة الرسول بخطابها البليغ،
وعرفتهم زيف إسلامهم، وكذب دموعهم،